أهلُ المَدينةِ في ليلةِ وَداعِ الفَيصلِ بنِ سَلمانَ ولِسانُ حالِهِمْ:

((مَعَ فَيصلٍ عِشْنَا رَوائعَ قِصَّةٍ))

بقلمِ د. عصامِ بنِ ناهِضِ الهجّاريِّ الشّريفِ

المدينةُ المنوَّرةُ سيّدةُ البُلدانِ
في وَداعِ أميرها الفَيصلِ بنِ سلمانَ
بلمسةِ وفاءٍ من أميرها سَلمانَ بنِ سُلطانَ
في مَشهَدِ وفاءٍ ...
منْ أهلِ مَدينةِ خير الأنبياءِ ﷺ .. مع فَيصلِ النَّقاءِ ..
عبرَّ أهلُها بكلِّ صفاءٍ .. وبِمَشاعرِ حبٍّ وإخاءٍ ..
عمّا في قلوبِهِمْ لأميرٍ مَلَكها بِالحُبِّ ..
فعاشَ معهمْ أجملَ وصالٍ .. وأسمى اتّصالٍ ..
عاشَ بينهمْ فريداً بأخلاقِهِ ..
نادراً في أعمالِه ومبادَراتِهِ ..
فعظَّمَ معهمْ بُقعةَ وحرَمَ رسولِ الله ﷺ ومَسجِدَه المبارَكَ ..
فكانَ همُّه الأكبرُ كيفَ يَنعَمُ زائِرُه ﷺ وزائِرُها بالسَّكينةِ والطُّمَأْنينةِ الّتي هيَ إحساسُ كلِّ مَنْ زارَ وسكنَ المدينةَ ..
عاشَ الفيصلُ النبيلُ قصّةَ حبٍّ ووِدادٍ مَعَ أهلِ المدينةِ..
قِصّةً تُروى .. وتُعَلَّمُ وتُلْهَمُ .. منذُ أولِ يومٍ قدِمَ فيهِ المدينةَ ..
فلقَدْ نزلَها بِهمَّةٍ عليّةٍ .. وسارَ فيها بآدابٍ حَميدةٍ سنيّةٍ ..
واكتَسى ورَفَلَ فيها بأَجْمَلِ أَثْوابِ الشَّرَفِ..
وتَبَوَّأَ مِنْهَا بِسُموٍّ وخَشيةٍ أَعَاليَ الغُرَفِ ..
فدَخَلَ إلى بُيُوتِ فضلِها وتَعظيمِ حُرمتِها راغِباً في الثّوابِ ..
وارْتَقَى بنَهْجِ أَبِيهِ وجَدِّهِ سَنامَ الإمَارَةِ في أَعْلَىَ جَنَابٍ ..

فكانَ نِعْمَ الأميرُ المثقَّفُ أميرُها
ونِعْمَ الأميرُ المبادِرُ لِخدمَتِها

فاهتمّ بالإنسانِ كما اهتمَّ بالمكانِ
ورسَمَ مَنْهجاً فريداً فيها بخَيرْ عُنوانِ

((الإيمانُ والعُمْرانُ والإنسانُ))
واليومَ والفَيصلُ يُودِّعُ المدينةَ في صُورةِ وَداعٍ..
غيرَ أنه في قلوبِ أهلِها وذاكِرةِ تاريخِها باقٍ...
فرُوحُ الفَيصلِ في طَيبّةَ معلّقةٌ ..
وأنفاسُه لِطابةَ متشوِّقةٌ ..
وذِكْراهُ بها شامِخةٌ ..
ومآثرُه ومُنجزاتُه فيها مُتألِّقةٌ ..
والمدينةُ كما يُخبرُنا التّاريخُ ومؤرّخوها وفِيّةٌ أمينةٌ ..
فلا تَنسى مَنْ أحسنَ السّيرةَ فيهاوالجِوارَ بِها وخِدْمَتَها ..
الفَيصلُ لنْ تَقوى قُلوبُ أهلِ المدينةِ على نِسْيانِهِ ...
وستظلُّ دَوماً متوقّدةً إلى تَحْنانِهِ ..
غيرَ أنَّ السَّلوى أنّه ارتَقى إلى جِوارِ مُلْهِمِه وبانِيهِ ...
مَنْ زرعَ فيهِ حَميدَ الشِّيَمِ ورفيعَ القِيَمِ...
خادمِ الحَرمَينِ الشَّريفين المَلِك سلمانَ بنِ عبدِ العزيزِ
الـذي أنشأ أنجالَه على الجَميلِ مِنَ الكرائِمِ وكلِّ عزيزٍ ...
فمَنْ كان بِجِوارِ أبيهِ البَحْرِ سلمانَ ..
فبِلا شكٍّ سيكونُ حظُّه من بَحرِه النَّفيسِ وغالي الأثمانِ ..
هُوَ البَحرُ مِن أَيِّ النَواحي أَتَيتَهُ
فَلُجَّتُهُ المَعروفُ وَالجودُ ساحِلُهْ
ويَزيدُ السَّلوى سَلْوى ..
أنَّ سيّدةَ البلدانِ عندما ترجَّلَ فارِسُها الفَيصلُ بنُ سَلمانَ ..
امتَطى جَوادِ شَرَفِها سَلمانُ بنُ سُلطانَ ..
لِيُعيدا ذِكْرياتِ الوَفاءِ بَين والِدَيْهما بِتَحْنانٍ..
المَلِكُ الوفيُّ البارُّ سلمانُ
وتوأَمُ رُوحِه الأميرُ المِعْطاءُ سُلطانُ
فلقدْ كانا جَسدَينِ حلاّ روحاً عبرَ الزمانِ ..
ومعَ هذا الوفاءِ والوِدادِ المتأصِّلِ بَينهما ..
يَستشرفُ أهلُ طَيبةَ مُستقبلَ التَّنميةِ والتَّطويرِ
والحِراكِ الحضاريِّ والتاريخيِّ والثَّقافيِّ المستمرِّ
الّذي بَعثَه وأطْلَقَه فَيصلُها ..
بأن سيكونُ له استكمالٌ وبَصَماتٌ وإبداعٌ من سَلْمانِها ..
الذي ارتوَى حبَّ المدينةِ منْ أبيهِ سُلْطانِها
منِ استشعرَ تَعْظِيمَهْا وأنّها مَحبوبةُ نَبيِّها وساكِنها ..
وأستحضِر في هذا المقام جَواهِرِ كلامِ صاحبِ خَريدةِ القَصْرِ، عِنْدَمَا قالَ:
"وقد ظَهَرتْ تَباشيرُ النِّهايةِ في شَمائلِ البِدايةِ
فرجاؤنا في التّمام .. أَخْذاً بقولِ أبي تمّام:
إنّ الهلالَ إذا رأيت نموَّهُ ... أيقنتَ أنْ سيكونُ بَدْراً كامِلا"
فآلُ عبدِ العزيزِ بن عبد الرحمن الفَيصل ومُنجزاتُهم في سَماءِ طَيبةَ كالبُدورِ ..
كلَّما غابَ بدرٌ بَدا بَدرٌ ..
فأكرِمْ بالسَّلَفِ وأنعِمْ بالخلَفِ ..
وهاهُما يُقدّمان دُروساً عمَليّةً في النُّبلِ والرُّقيِّ
وأسمى مَعاني الأدبِ ..
ففَيصلٌ لسلمانَ بِحُبٍّ يَستقبِلُ ..
وسَلمانُ بأهلِ المدينةِ وفاءً يَحتفِلُ ..
مشاهدُ تحرِّكُ القلوبَ وتَدمَعُ منها العُيونُ
ولقدْ جاشَتْ نفسي معَها قائلةً:

وَإذا المدينَةُ عبرَّتْ عَنْ شُكْرِهَا
وثَنائِها للشَّهمِ بالكَلمَاتِ

فهْيَ الأقلُّ لواجبٍ في حَقِّهِ
حقُّ الأمير تَصونُه بِثَباتِ

حظُّ المدينةِ في الوفاءِ مُشاهَدٌ
ووَفاءُ طيبَةَ غيرُ ذِي ثَغَراتِ

سلمانُ يا نَسْلَ الكرامِ تَحيَّةً
قدْ عاشَ كلُّ حُضورِنا لَذَّاتِ

مَعَ فَيصلٍ عِشْنَا رَوائعَ قِصَّةٍ
عِشْنَا الوِدَادَ بأرْوعِ الأوْقاتِ

كانَ الأميرُ فَريدَنا وَحَبيبَنَا
قَدْ كانَ فيصلُنَا جميلَ صِلاتِ

سلمانُ نَجْلُ أَماجِدٍ سُلْطانِنَا
وله بطيبةَ أطيبُ الثَّمراتِ

مِنْ قَبْلُ كانَ أبوهُ صِنْوَ أبيكُمُ
في نَجدِنا وَحِجَازَ وَالسَّفَراتِ

رَسَمُوا لَكُمْ أنْقَى جَمالِ قَرابَةٍ
وَمَعَ الوَفا شادُوا أبرَّ صِلاتِ

بِسُعُودِكُمْ يَحْلو المقامُ بِذِكْرِكُمْ
فَهْوَ الوَفيُّ لَكُمْ بِحُسنِ ثَبَاتِ

هَذي أمانةُ أحمدٍ في بيتِكُم
ولأنْتُمُ أهلٌ وخيرُ ثِقاتِ

وَإذا المدينةُ بالنَّبِيِّ تَنَوَّرَتْ
وَرِياضُها إذْ تَسْكُبُ العَبرَاتِ

هَذي المدينةُ وَهْيَ حِبُّ نَبِيِّنا
شهِدَتْ وَتَشْهدُ مِنْ حروفِ هُداةِ

فاللهُ يشهَدُ والعبادُ شُهودُهُ
أنْ فيصلٌ قَدْ قادَهَا بِأَناةِ

سَنَظلُّ نذكرُه دَليلَ وفائِنا
ووفاؤهُ مُتَقَدِّمُ الخُطُواتِ

اللهمَّ أدمْ على فَيصلِ بنِ سَلمانَ .. وسَلمانَ بنِ سُلطانَ .. الحبَّ والوِدادَ بينَهما حيثُ كانا .. واجعَلْهما على خُطَى والدَيْهِما رِفاق دَّرْبِ حيثُ نزلا ..
واستخدِمْهما في حبِّ وخدمةِ مُهاجَرِ رسولِ اللهِ ﷺ والوطنِ جميعاً حيث حلاّ..
وبارِكْ في سُعودِ بنِ خالدٍ معَهما واجعلْه خيرَ عَضُدٍ لَهُما ..